

تأليف

مسعد حسين محمد





التواضع



الدار العالمية للنشر والتوزيع

التواضع

الطبعة الأولى

1445هـ - 2024م

رقم الإيداع

2024/0000

الترقيم الدولي: **I.S.B.N** 978-977-744-000-0





ص.ب: ٦١٠ ر. ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٣ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٣ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

التواضع

إعداد

فضيلة الشيخ

مسعد بن حسين بن محمد الجعلي

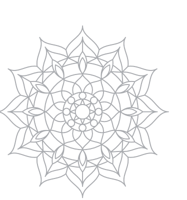
عضو باتحاد الكتاب المسلمين

ومؤلف برابطة العالم الإسلامي



الدار العالمية للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فاعلم - حفظني الله وإياك - أن التواضع صفة محمودة يَدُلُّ على طهارة النفس، ويدعو إلى المودة والمحبة والمساواة بين الناس، وينشر الترابط بينهم، ويمحو الحسد والبغض والكراهية من قلوب الناس.

وهذا الكتاب [**التواضع**] بينت فيه بفضل الله عَزَّوَجَلَّ معنى التواضع وفضائله، وأنه علامة على محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد، وذكرت الفرق بين التواضع والمهانة، وكذلك ذكرت درجات التواضع،

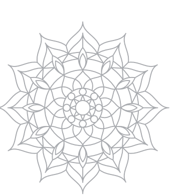
وصورًا من تواضع النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وذكرت صورًا مشرفة من تواضع الصحابة والتابعين والصالحين، سائلاً الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم، فهو من وراء القصد وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

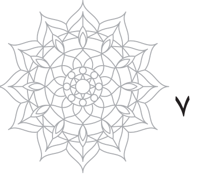
كتبه

مسعد بن حسين بن محمد الجعلي

المصري السلفي

زهراء الحدائق - كفر الدوار - البحيرة





معنى التواضع

التواضع: هو الاستسلام للحق، وترك الاعتراض في الحكم، وهو خفض الجناح ولين الجانب، وأن تخرج من بيتك ولا تلقي مسلمًا إلا رأيت له عليك فضلًا، وأن تخضع للحق وتنقاد له، وتقبله ممن قاله، ولو سمعه من صبى قبلهُ، ولو سمعه من أجهل الناس قبله(١).

فضل التواضع:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ**﴾.

[آل عمران: ١٥٩]

---

(١) «مدارج السالكين»: (٢/ ٣٤٢) لابن القيم، ط: دار الأدب العربي، و«إحياء علوم الدين»: (٣/ ٣٤٢) للغزالي، ط: دار الصحابة.

قال فخر الدين الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من كمال فضل الله في حق محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه عرفه مفاسد الفظاظة والغلظة، ﴿**وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ**﴾، وفات المقصود من البعثة والرسالة[1].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾ [الإسراء: ٣٧].

قال القاسمي: يقول تعالى ناهيا عباده عن التجبر والتبختر في المشية: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا﴾ أي متبخترًا متمايلًا مشي الجبارين ﴿إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ **أي:** لن تقطع الأرض بمشيك ﴿وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾ **أي:** بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك[2].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]. **قال أبو حيان:** «من اتبعك مؤمنًا فتواضع له»[3].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي أَلِن جانبك لمن آمن بك، وتواضع لهم»[4].

---

(١) «التفسير الكبير»: (٩/ ٥٢) للإمام فخر الدين الرازي، ط: المكتبة التوفقية.

(٢) «تفسير القرآن العظيم»: (٣/ ٣٨) للحافظ ابن كثير، ط: مؤسسة الخلود.

(٣) «البحر المحيط»: (٧/ ٤٦) لأبي حيان، ط: المكتبة التوفقية.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن»: (٤/ ٢٥١) للقرطبي، ط: النور الإسلامية.

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي سكينة ووقارًا متواضعين، غير أَشِرين ولا مرحين ولا متكبرين». **وقال الحسن:** «علماء حكماء»

وقال محمد ابن الحنفية: «أصحاب وقار وعفة لا يسفهون، وإن سُفِه عليهم حلموا»(١).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي بسكينة ووقار، من غير جبرية ولا استكبار»(٢).

وقال عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر أن صفاتهم أكمل الصفات، ونعوتهم أفضل النعوت، فوصفهم بأنهم: ﴿يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ **أي:** ساكنين متواضعين لله وللخلق، فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة، والتواضع للهِ ولعباده»(٣).

(١) «مدارج السالكين»: (٢/ ٣٧٢) لابن القيم، ط: دار «الأدب العربي».
(٢) «تفسير القرآن العظيم»: (٣/ ٢٩٩) لابن كثير، ط: مؤسسة الخلود.
(٣) «تيسير الرحمن»: (٥/ ٤٩٣) للشيخ السعدي، ط: الدار السلفية.

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا فِي رَأْسِهِ حِكْمَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ، فَإِذَا تَوَاضَعَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ارْفَعْ حِكْمَتَهُ، وَإِذَا تَكَبَّرَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ضَعْ حِكْمَتَهُ»**(١).

وعن عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»**(٢).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، وَلَا يَبْغِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ»**(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا**

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢١٨) وحسنه الشيخ في «السلسلة الصحيحة» برقم [٥٣٥]، و«صحيح الجامع» [٥٥٥١].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [٢٨٦٥] وأبو داود [٤٨٩٥]، وابن ماجة [٤٨٩٥]، وأبو نعيم في «الحليه» [٢/ ١٧].

(٣) **حسن**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» [٤٢٦]، وابن ماجة [٤/ ٤٢] وحسنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم [٢٥٧٠] و«صحيح الجامع» برقم [١٧٢٢].

اسْتَكْبَرَ مَنْ أَكَلَ مَعَهُ خَادِمُهُ، وَرَكِبَ الْحِمَارُ بِالْأَسْوَاقِ، وَاعْتَقَلَ الشَّاةَ فَحَلَبَهَا»(١).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ**»(٢).

قال ابن الأثير: «أراد به التواضع والإخبات، وأن لا يكون من الجبارين المتكبرين»(٣).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «تنويهًا بشرف هذا المقام وفضله»(٤).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالمسكين المحمود هو المتواضع الخاشع لله، ليس المراد بالمسكنة عدم المال، بل قد يكون الرجل فقيرًا

---

(١) **حسن**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» [٥٥٠]، والبيهقي في «الشعب» [٦/ ٢٨٩]، وحسنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم [٢٢١٨]، و«صحيح الجامع» برقم [٥٤٠٣].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي [٢٣٥٢]، وابن ماجه [٤١٢٦]، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ١٦٧) وحسنه الشيخ الألباني في «إرواء الغليل» (٣/ ٣٦٣).

(٣) «النهاية في غريب الحديث والآثر»: (٢/ ٣٨٥) لابن الأثير، ط: دار ابن جزيمة.

(٤) «الخشوع في الصلاة»: ص: [١٠] لابن رجب، ط: دار ابن القيم.

من المال وهو جبار.. فالمسكنةُ خُلُقٌ حَسَنٌ في النفس، وهو التواضع والخشوع، واللِّين ضدُّ الكبر، كما قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢][١].

وقال السُبكي مُخبرًا عن والده: «وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا**»: إن المراد به استكانة القلب»[٢].

فمن استكان قلبُه للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وتواضع لجلاله وكبريائه، وعظمته وخشيته، ومحبته ومهابته – جبره الله.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّٰهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»[٣].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّٰهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»:

فيه وجهان: أحدهما: يرفعه الله في الدنيا، ويُثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس، ويُجِلُّ مكانه.

---

(١) «مجموع الفتاوي»: (١٨/ ٣٨٢) لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط: دار رحمة.
(٢) «طبقات الشافعية»: (٣/ ١٣٤) لابن السبكي، ط: دار ابن الأثير.
(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥٨٨].

والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة، ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا»[١].

قال أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «وجدنا الكرم في التقوى، والغني في اليقين، والشرف في التواضع».

وقال مُصعب بن الزبير: «التواضع مصايد الشرف».

وقال إبراهيم بن شيبان: «الشرف في التواضع، والعزُّ في التقوى، والحرية في القناعة».

وقال عروة بن الورد: «التواضع مصائد الشرف، وكلُّ نعمة محسودٌ عليها صاحبها إلا التواضع».



(١) «شرح مسلم»: (١٦/ ١٤٣) للإمام النووي، ط: مكتبة الإيمان.

التواضع علامة على محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد



قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه صفات المؤمنين الكُمل؛ أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليِّه، مُتعزِّزًا على خصمه وعدوِّه»(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما كان الذلُّ منهم ذُلَّ رحمة وعطف وشفقة وإخبات، عدّاه بأداة «على» تضمينًا لمعاني هذه الأفعال؛ فإنه لم يُرد به ذل الهوان الذي صاحبهُ ذليل وإنما هو الذل والانقياد الذي صاحبهُ ذلول، فالمؤمن ذَلُولٌ. وقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. هو عزَّة القوة والمنعة والغلبة».

---

(١) «تفسير القرآن العظيم»: (٢/ ٧٣) للحافظ ابن كثير. ط: دار المعرفة.

قال عطاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المؤمن للمؤمن كالوالد لولده، وعلى الكافرين كالسَّبعِ على فريسته». كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. وهذا عكس حال من قيل فيهم:

كِبْرًا علينا وجُبنًا عن عدوِّكُمُ

لَبِئْسَتِ الخلَّتانِ: الكِبْر والجبْنُ[١]

والعلو كلُّ العلوِّ في الدارين للمتواضعين؛ قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٨٣]. أي ترفعًا على خلق الله، وتعاظُمًا عليهم، وتجبرًا عليهم، ولا فسادًا فيهم»[٢].

---

(١) «مدارج السالكين»: (٢/ ٣٢٧-٣٢٨) للإمام ابن القيم، ط: دار الأدب العربي.

(٢) «تفسير القرآن العظيم»: (٣/ ٤٠٢) للحافظ ابن كثير، ط: دار المعرفة.

التواضع المحمود



التواضع المحمود على نوعين:

النوع الأول: تواضع العبد عند أمر الله تعالى امتثالًا، وعند نهيه اجتنابًا، فإن النفس لتطلب الراحة تتلكأُ في أمره فيبدو منها نوعُ إباء وشرود هربًا من العبودية، وتثبتُ عند نهيه طلبًا للظفرِ بما مُنِع منه، فإذا وضع العبدُ نفسه لأمر الله ونهيه فقد تواضع للعبودية.

والنوع الثاني: تواضع لعظمة الرب وجلاله، وخصوعه لعزته وكبريائه، فكلما شمخت نفسه ذكر عظمة الرب تعالى وَتَفَرُّدَهُ بذلك، وغضبه الشديد على من نازعه ذلك، فتواضعت إليه نفسه، وانكسر لِعَظَمة الله قلبُه واطمأن لهيبته، وأخبت لِسُلطانه، فهذا غاية التواضع، وهو يستلزمُ الأول من غير عكس والمتواضع حقيقة رُزق الأمرين معًا[1].

(١) «الروح»: ص: (٢١٠-٢١١) للإمام ابن القيم، ط: دار الإيمان.

الفرق بين التواضع والمهانة



والفرق بين التواضع والمهانة أو «الذل»: أن التواضع يتولد من بين العلم بالله سبحانه – ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عملها وآفاتها، فيتولد من ذلك كله خلق هو «التواضع» وهو انكسار القلب للهِ، وخفض جناح الذل والرحمة لعباده، فلا يرى له على أحد فضلًا، ولا يرى له عند أحدٍ حقًا، بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قِبَلَه، وهذا خلُقٌ إنما يُعطيه اللهُ عَزَّوَجَلَّ من يُحِبّهُ ويُكرمه ويُقرِّبُهُ.

وأما المهانة «الـذُلُ»: فهي الدناءةُ والخسةُ وبذلُ النفس أو ابتذالُها في نيل حُظُوظها وشهواتها كتواضع السِّفْلَةِ في نيل شهواتهم، وتواضع طالب كلّ حظ لمن يرجو نيل حظه منه فهذا كله ضِعةٌ لا تواضع، والله – سبحانه– يُحِبُ التواضع ويبغُضُ الضِّعة والمهانة.



درجات التواضع

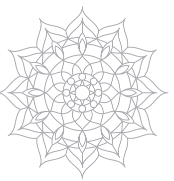
قال شيخ الإسلام الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التواضع على ثلاث درجات:

الدرجة الأول - التواضع للدِّين: وهو أن لا يُعارض بمعقولٍ منقولًا، ولا يتهم للدِّين دليلًا، ولا يرى إلى الخلاف سبيلًا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التواضع للدين»: هو الانقياد لما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاستسلام له، والإذعان.

الدرجة الثانية: أن ترضى بما رضى الحقُّ به لنفسه عبدًا من المسلمين أخًا، وأن لا تردَّ على عدوِّك حقًا، وأن تقبل من المعتذر معاذيره.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا كان الله قد رضى أخاك المسلم لنفسه عبدًا، أفلا ترضى أنت به أخًا؟! فعدم رضاك به أخا وقد رضيه سيِّدك

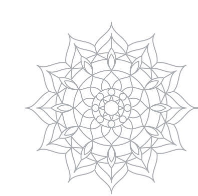


الذي أنت عبدُه – عبدًا لنفسه – عينُ الكبر. وأيُّ قبح من تكبر العبد على عبد مثله، لا يرضى بأخوته، وسيده راض بعبوديته؟!

الدرجة الثالثة: «أن تتواضع للحق، فتنزل عن رأيك وعوائدك في الخدمة ورؤية حقك في الصحبة، وعن رسمك في المشاهدة».

كان ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول:** «التواضع بأن تخدم الحق سبحانه وتعبده بما أمرك به، على مقتضى أمره لا على ما تراه من رأيك، ولا يكون الباعث لك داعي العادة، كما هو باعث من لا بصيرة له غير أنه اعتاد أمرًا فجرى عليه، ولو اعتاد ضدَّه لكان كذلك».





صور من تواضع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أشدِّ الناس تواضعًا مع ربه، ومع أهل بيته، ومع الناس جميعًا، ولقد برز ذلك واضحًا جليا في سيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإليك جانبًا من تواضعه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

تواضعه مع ربه عَزَّ وَجَلَّ:

لقد اختار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون عبدًا رسولًا عن أن يكون ملكًا نبيًّا؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَلَسَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذَا الْمَلَكُ مَا نَزَلَ مُنْذُ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ أَمَلَكًا أَجْعَلُكَ لَهُمْ أَمْ عَبْدًا رَسُولًا؟ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا بَلْ عَبْدًا رَسُولًا**»(١).

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد [٢/ ٢٣١]، وابن حبان [٦٣٦٥]، وأبو يعلى [٦١٠٥]، وصححه الشيخ الأرنؤوط في «تحقيق المسند» برقم [٤٥٧٣].

تواضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الناس:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَنَّ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كَانَ يَمُرُّ عَلَى الصِّبْيَانِ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ**»(١).

وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كانت الأمة تأخذ بيده** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فتنطلق به حيث شاءت**»(٢).

وعن سهل بن حنيف قال: «**كان رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم**»(٣).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَالِطُنَا، حَتَّى كَانَ يَقُولُ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٥٤٢]، ومسلم [١٧٣٢].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٥٤١٧].

(٣) **صحيح**: رواه الحاكم (٢/ ٢٥٣)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٤٥) وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [٢١١٢].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٥٧٧٨]، ومسلم [٢١٥٠]، والترمذي [٣٣٣]، وأبو عمير: أخٌ لأنس من أمه، وهو ابن أبي طلحة الأنصاري. **والنُغير**: تصغير النُغر، وهو عصفور صغير.

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَتَخَلَّفُ فِي الْمَسِيرِ فَيُزْجِي الضَّعِيفَ وَيُرْدِفُ وَيَدْعُو لَهُمْ**»[(١)].

مــاذا يــقــولُ الــواصــفــون لــهُ

فـإن صفاتهِ جلتَ عـن الحصرِ

وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه ذُكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «لا والله، ما كانت تُغلق دونه الأبواب، ولا يقوم دونه الحجاب، ولا يُغدي عليه بالجفان، ولا يروح عليه بها، ولكنه كان بارزًا، من أراد أن يلقى نبي الله لقيه، وكان يجلس بالأرض، ويَضَعُ طعامُه بالأرض، يلبس الغليظ، ويركب الحمار، ويُردف عبده ويعلف دابته بيده»[(٢)].

وعن ابن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «كان يُكثر الذكر، ويُقلُّ اللَّغْو، ويُطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، وكان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود [٢٦٣٩]، والحاكم (٢/ ١٢٦) وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم [٢٠٢١].

(٢) «صفة الصفوة»: (١/ ١٦٧ - ١٦٨) لابن الجوزي، ط: دار ابن الهيثم.

(٣) **صحيح**: رواه النسائي [١٤١٤]، والحاكم (٢/ ٦٧١)، وابن حبان [٦٤٢٤]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٤٨٨١].

تواضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أهل بيته:

عن الأسود بن يزيد قال: «سُئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: **كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ**»(١).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «**إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَمًا حَشْوُهُ لِيفٌ**»(٢).

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيَلْبَسُ الصُّوفَ، وَيَعْتَقِلُ الشَّاةَ، وَيَأْتِي مُرَاعَاةَ الضَّيْفِ**»(٣).

وعن أنس قال: «**كان رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يؤتي بالتمر فيه دود، فيفتشه، ويُخرج السوس منه**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٤].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [٢٠٨٢].

(٣) **صحيح**: رواه الحاكم (١/ ١٢٩) وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ١٥٥).

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود [٣٨٣٢] وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم [٢١١٣].

وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**كَان رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعَقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ**»(١).

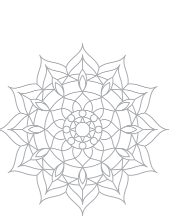
وعنه أيضًا قال: «**مَا عَلِمْتُ النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَكَلَ عَلَى سُكْرُجَةٍ قَطُّ وَلَا خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ قَطُّ وَلَا أَكَلَ عَلَى خِوَانٍ قَطُّ**».

قيل لقتادة: «فعلام كانوا يأكلون؛ قال: على السفر»(٢).

كَفَاكَ عَنْ كُلِّ قَصْرٍ شَاهِقٍ عُمُدُهُ
بَيْتٌ مِنَ الطِّينَ أَوْ كَهْفٌ مَنِ الْعَلَمِ
تَبْنِي الْفَضَائِلِ أَبْرَاجًا مُشَيَّدَةً
نَصْبَ الخيام التَّي مَنْ أَرْوَعِ الْخِيَم
إِذَا مُلُوكُ الوَرَى صَفُّوا مَوَائِد هُمْ
عَلَى شَهِيٍّ مِنَ الأَكْلاتِ وَالْأُدُم
صَفَفْتَ مَائِدَة لِلرُّوحِ مَطْعَمُها
عَذْبٌ مِنَ الوَحْيِ أَوْ عَذْبٌ مِنَ الْكَلِمِ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٠٣٢].
(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٥٠٧١].
والخوان: هو الشيء المرتفع يهيأ ليُؤكل الطعام عليه.



صور مشرقة

من تواضع الصحابة والتابعين والصالحين



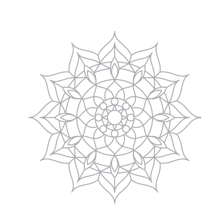
قال أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وددتُ أني شعرةٌ في جنب عبد مؤمن».

وقالت أُنسية: نزل فينا أبو بكر ثلاث سنين ثنتين قبل ما يُستخلف، وسنة بعد ما استخلف فكان جواري الحيّ يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن.

وعن حزام بن هشام، عن أبيه، قال: «رأيتُ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرَّ على امرأة وهي تعصد عصيدة لها، فقال: ليس هكذا يُعْصد. ثم أخذ المسوط فقال: هكذا. أراها».

تواضع تكنْ كالنجم لاحَ لناظرٍ

على صفحاتِ الماءِ وَهُوَ رفيعُ



ولا تكُ كالدُّخان يعلو بنفسه

إلى طبقاتِ الجوِّ وهْوَ وضِيعُ

عن ميمون بن مهران قال: أخبرني الهمداني أنه رأى عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على بغلة، وخلفه عليها غُلامه نائل وهو خليفة».

وقال أيضًا: «رأيتُ عثمان نائمًا في المسجد في ملحفة، ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين».

وقال سعد بن الحسن التميمي: «كان عبد الرحمن بن عوف لا يُعرف من بين عبيده. **يعني**: من التواضع في الزِّيِّ».

وقال عبد الله بن أبي الهذيل: «رأيتُ عمارًا اشترى قتًا[1] بدرهم، وحمله على ظهره وهو أمير الكوفة».

قال يوسف بن أسباط:

وكفى بمُلتمس التواضع رِفْعةً

وكفى بِمُلْتَمِسِ العُلوِّ سِفالا

---

(١) **القت**: الفصفصة، وهي الرطبة من علف الدواب.

وقال آخر:

إنَّ التواضع من خصالِ المتقي

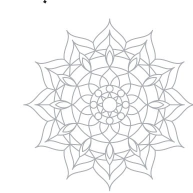
وبه التقيُّ إلى المعالي يرتقي

قال يحيى بن معين: «ما رأيت مثل أحمد بن حنبل !!صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الصلاح والخير».

وقال إسماعيل بن اسحاق الثقفي: «قلتُ لأبي عبد الله أول ما رأيتُه: يا أبا عبد الله، ائذن لي أن أقبل رأسك. فقال: لم أبلغ أنا ذاك».

وذكر الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن الإمام أحمد نزل سوق بغداد فاشترى حزمة من الحطب وحملها على ظهره، فلما رآه الناس قالوا: يا أحمد نحمل عنك الحطب. فدمعت عيناه واحمر وجهه وقال: نحن قومٌ مساكين لو ستر الله علينا لافتضحنا»[1].

(١) هذه النماذج والصور والآثار من «كتاب الزهد» ص: [٥٢] لابن المبارك، ط: دار الفكر، و«أحياء علوم الدين» (٣/ ٣٧٦) للغزالي ط: دار الصحابة، و«مناقب أحمد بن حنبل» ص: (٣٤٧-٣٣٤) لابن الجوزي، ط: مكتبة الصفا.





تواضعْ إذا ما نلْتَ في الناسِ رفعة

فإنَّ رفيع القومِ مِن يتواضَعُ

وقال آخر:

تواضع إذا ما كان قدرُك عاليًا

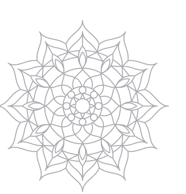
فإنَّ تواضع المرءِ من شيَمِ العقلِ

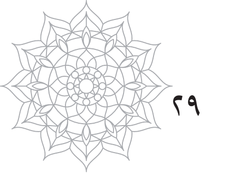
وقال آخر:

وأحبُّ مقرونْين في عِيْن ناظرٍ

جلالةُ قدْر في خمولِ تواضعِ







الفهرس

الموضوع	الصفحة

